هل الامة برجالها ؟

« للسيد عبد الصمد تركي »

متى حلت العبقرية في فرد من الافراد تمكن بفضلها من التسيطر على امته عن طريقي المنابهة والمحاكاة اللتين هما عملية عقلية طوعية في الانسان، حيث انها تحدث من غير روية ومن غير ارادة أو تعقل كما اثبتها علم الاجتماع فهو ابداً في المقدمة والامة له تبع لا ينازعه في رأيه فيهم منازع ولا يناقشه في رأيه منهم مناقش . إذ هو ذو الحول والطول ، فان كان ممن جبل على الانسانية غير الشريرة وممن وهبه الله تعالى بضمير هو دائما له منبه ومحاكم سار بأمته نحو الصلاح والا فالى الطلاح والى هوة السحق والعدم . فكم ممن خص بالعبقرية من رجال التاريخ قديمه وحديثه من انتشل امته من حضيض الجهل الى مصاف الامم الراسخة القدم في العلم والثقافة والادب فالكمال الانساني كمحمد علي باني كيان النهضة الحديثة في مصر ، وفيصل الاول مجدد النهضة الحديثة في العراق وسمو اميرنا المعظم الشيخ احمد الجابر الصباح في الكويت فقد اخذ على عاتقه بث روح النهضة الحديثة بين ابناء شعبه الكريم وجد في طلب البعثات التعليمية من البلاد العربية السابقة لبلاده في هذا المضمار الواسع الاطراف وفي ارسال البعثات الطالبة للعلم اليها وفي ايجاد اطباء اخصائيين للامراض الجسمانية حتى كون لشعبه في مدة وجيزة مدارس غذت ونورت ولا زالت مجدة في تنوير عقولهم وصقل افكارهم ومصحات طهرتهم من كثير من الامراض المتفشية فيهم مثل مرض الجدري الفتاك وما اليه من الامراض الفتاكة ولا تزال مجدة في التطهير الصحي. وكم ممن خص بهذه الهبة الربانية ـ أي بالعبقرية ـ ولكنه دجال في طيلسان عالم وانا في حلة معاد لحب الذات وسارق في ثوب فاضل هد من كيان امته ما جعلها مبعثرة الصفوف مفككة الحلقات تائهة في بيداء الجهل والضلالة ، منغمسة في ملذات شهواتها لاهية في اشباع عواطفه مسرفة في ترفها وهو في عكازه فيهم كالشيطان حالما يداخل الانسان يستهويه ويغريه فاذا ما وقع في حبال دياجير غيه قال له مخاطباً « اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين » كأنه لم يكن مسؤولا عنه لكونه مسبباً والشواهد على هذا كثيرة لا اخالنا محتاجين للبحث عن امثالها فنظرة واحدة في سجلات حوادث الاحوال الاجتماعية فيها ما يغنينا عن الف مثال ومثال على ما يقال ولذا هناك واجب على الامة من الضروري تنفيذه في كل وقت من اوقاتها وفي كل دقيقة وثانية من ثوانى حياتها حيث عليه يتوقف مصير حياتها ذلك هو الحزم والارادة والتعقل الذي فيه القضاء العاجل على قوتي المنابهة والمحاكاة حتى لا يستفحل داؤهما ويصبح من المستحيل دواؤهما أو علاجهما ذلك لأن الامة المستفحل فيها هذا الداء — داء قوة المنابهة والمحاكاة — لا يمكن للفرد أو الافراد الذين يعدون على اصابع الأيدي فيها ردعها عن غي هي متمادية فيه بل الأمر بالعكس إذ بفعل هذه القوة الجارفة ينخرطون في سلكها بلا وعي ولا تنبه فيعملون عملا لا يستسيغونه ولا يستحسنونه لفقد احساسهم

لعدم استساغتهم واستحسانهم له ربما تهدأ فيهم هذه القوة أي في وقت لا يجديهم به الاحساس تفعاً وان لمن المسلم به ان الامة اليقظة الواعية الجاعلة هذه القوى الثلاث — الحزم والارادة والتعقل — اداة عملها لا شك وانها قاتلة في نفوس عظمائها أو بالاحرى قادتها تلك الانانية الشخصية وحالت محلها روح النبل والمفاداة والتضحية والجد في الاخلاص لأداء رسالتهم المبعوثون لتأديتها على الوجه الاكمل الصحيح وهذه هي الامة التي كتب لها النجاح في ميدان جهاد هذه الحياة الدنيا والاطراد في كل سبلها ، وتلك الغافلة هي الامة التي من شأنها الحضيض والجالبة على نفسها الدمار الآخذة بنفسها الى هوة الاندثار وعلى هذا فالامة برجالها والرجال بأممها وما ادل على ذلك من الشعب الالماني والشعب الانكليزي فقد كان الهر هتلر بارز العبقرية ظاهر الرجولة وما منا من ينكر عليه ذلك . الا ان غريزة حب الاستبداد اللاحقة به ولا ريب عن طريقي المنابهة والمحاكاة آخذة من نفسه كل مأخذ وشعبه غافل عن العمل بقوة الحزم والارادة والتعقل فارداه بفعل هاتين القوتين في مجزرة آدمية ما سجل مثلها تاريخ البشرية جمعاء ، اللهم الا اذا استثنينا قصة قبيلتي طسم وجديس تلك القصة الخرافية المعروفة. وما كان من نصيبه الا الانهيار، والشعب الانكليزي لما له من المحافظة على زمام هذه القوى الثلاث ما كان نصيبه من هذه الحرب الطاحنة الا النصر والظفر برجاله وهكذا اذا تصفحت تاريخ البشرية ما تجد لأمة من نصر اوظفر اوتقدم في أي سبيل من سبل الحياة الانسانية الا والسبب في ذلك هو مشعل هذه القوى الثلاث حيث سيرهم على ضوء نوره المستنير غير ان من حسن حظ الهيئة الاجتماعية ان يحدث في بعض الاحيان لقوتي المنابهة والمحاكاة رد فعل على ان يكون لها منبه ذو قوة فعالة في النفوس ، فقد تستيقظ الامة من سباتها بفضل تلك القوى الحزمية والارادية والتعقلية فتستدرك ما فاتها وتجد في استرجاعه وهنالك تعج غبرة ثورة الصراع ما بين هذه القوى الثلاث وبين تلك القوتين . ومع ذلك فقد تعود تلك القوى وهي ظافرة وان فاتها من الوقت ما كان من اللازم تضيعه ولا ادل على هذا من يقظة الأمة العربية اليوم بعد رقدة كادت تقتل الامل في النفوس وتكسر الحسرة في القلوب والمنبهة لها هي المشكلة الفلسطينيه الكبرى . فبعد ان كانت بفضل هذه القوى الثلاث الحاكمة المالكة لزمام الدنيا يوم ان قال قائلها للسحابة (اينما تمطرين سيأتينا خراجك) اصبحت بعد تغافلها عنها المحكومة المغلوبة على امرها ولكنها والحمد لله اضحت وعادت مستبدلة الغفلة بالوعي وهذي هي تسير قدماً نحو طلب الاسترجاع والله المعين ومنه نستمد التمكين ؟

عبد الصمد الجعفري

« أطلب »

مجلة كاظمة في مطلع كل شهر من متعهد البيع والتوزيع

يوسف مشاري

بمكتبة : الخليج — الكويت